قلق السَّرد بين مُتطلبات الدلالة الرّمزية و الضّرُورة الرِّوائية في الرِّواية الإلكترونية نسيان .com لأحلام مستغانمي

د/ بايزيد فاطمة الزهراء
جامعة بسكرة

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح غاية قد تغيب عن الكثير منا، رغم كونها ضرورية، كعتبة نصانية، ألا وهي تشفير العنوان، وتبئيره بحيث يحمل انفتاحات عدة على المستوى الكلي للنَّص، ونقصد منه النص الالكتروني –الرواية– حيث تضع القارئ في متاهات وقلق دائمين، وتحمل له ألف بعد وأكثر من زاوية نظر سنرى ذلك من خلال غلاف وعنوان رواية "نسيان.com"

وبذلك يصبح نصاً مشتهاً يعد القارئ بالكثير في المتن، وهذا ما يمثل في عصرنا برواج المبيعات الفكرية وبالتالي فإن الضرورة الرمزية ضرورة وغاية في نفس الوقت

Abstract :

When woman is extremely taken off her right and oppressed, she usually tend to make use of her ability, and tries to change her isolation into a productive space, by creating life out of the darkness of loss through writing.

"I write about defeating fear using another fear… I write about anything other than death now"

We might say that poetry has created free spaces as a feminine poet said " poetry is much more wider than imagination and unique, though it we just let go what inside to the others, in the same time it builds a castle of dreams and possibilities of a possible world, a place where it is not necessary to be the opposite of the reality that we live.

مقدمة

إن هذه الدراسة هدفت إلى دراسة أعماق البنية النسقية والدلالية للعنوان فعنوان الغلاف يوحي بثقافة مرجعية .

يقوم النّص على شبكة جمالية ودلالية متداخلة ومتناغمة محكمة البناء ذات توليفات ترددية[1]. حيث يجازف الروائي الذي يعتمد مادة مجازية لعمله بمواجهة جملة من الاحتمالات لمربكة أولها قلق السرد بين متطلبات الدلالة الرمزية من جهة والضَّرورات الروائية لبناء أحداثه وشخصياته ووجاهة نموها الذّاتي عبر خضوعها لخصائص بنيتها الذّاتية من جهة أخرى، وثانيها تحوّل عمله في حال إلحاح قضايا أيديولوجية معينة إلى نمط من الكتابة الأمثولة، أو التوجيهية بعامة (الأخلاقية، الفلسفية، الاجتماعية)[2] يحمل النّص الإلكتروني جملة من الأبعاد المختلفة أهمها " الأبعاد البصرية التّي يقدمها النّص لمجموع مكوناتها، وهو يشتغل قضائيا ملاحظا كون النّص يثير الانتباه بالعلاقات التّي تتأسس بين بعض الكلمات المطبعية والنّص المخطوط. "[3].

تلك التّي تنقل (النّص) من واحديه الدلالة إلى تركيبية الدلالة وتنتقل بقارئها من مفعولية الوعي المستهلك إلى فاعلية الوعي المشارك في إنتاج الدلالة، فتركز العين الباصرة ، فضلا عن حاسة السّمع، على النّص المكتوب، لتغدو طريقة الكتابة – أو – الطّباعة نفسها عنصرا من عناصر اجتذاب العين إلى النّص ذاته[4].

يُعد العنوان في النَّظريات النّقدية المعاصرة في الغرب الأوروبي إحدى العتبات المهمة للنّص السّردي الأدبي عامة، والروائي خاصة باعتباره يمثل أولى مداخل العلاقة بين النّص، والقارئ من خلال تحديده لهوية العمل الأدبي، والإيحاء بمتنه الحكائي، إلى جانب إغراء القارئ بالإقبال عليه، قصد استكشاف خصائصه الفكرية والجمالية ممّا يبيّن عن وظيفتين للعنوان أولاهما دلالية متصلة بماهيته، وثانيهما تواصلية / وإغرائية متعلقة بمتقبله وإقباله على تأويل أبعاده الغامضة أو المتلبسة / أو الرمزية باعتباره مجموعة من الدلائل اللّسانية التّي تأتي عادة في بداية النّص من أجل تعيينه مشيرة محتواه العام، وقاصدة إثارة الجمهور المستهدف[5].

وقد كانت الفنون النّسوية على وجه الخصوص تجسد فن الإمتاع عبر فنون الإغراء الذّائقة القارئ التّي غالبا ما تقرن أدب المرأة بالمتعة، إذ تشير ملفوظاتها عبر فنون المجاز، والاستعارة ، والرّمز إلى الأنوثة والجسد باعتبارها العتبات/العلامات الدّالة على كتابة

الروائيات بالجسد... لانفتاحها على أكثر أفق قراءة، وصورة فهم، ومسلك تأويل، ومن ثمّ تجاوزها العناوين النّموذج السّائد في مباشرتها[6].

شيفرة العنوان نسيان ..Com:

فالعنوان سؤال إشكالي، والنّص ما هو إلاّ إجابة عن هذا السّؤال[7]. والسّؤال المطروح هنا: ما الدلالات التّي اكتنزها العنوان في رواية (نسيان. Com) ، وعليه وجب أولا تحديد كلمة نسيان التّي وردت غير معرّفة بأداة التّعريف ليصبح فعل النّسيان يأخذ بُعدين: 1- نسيان عفوي (طبيعي).

2- نسيان إرادي (مُتعمّد).

نسيان ⟵ بإرادة الشّخص ⟵ إقصاء الشّيء تماما (العقل، النّفس).

نسيان ⟵ لا إرادي (لا شعوري) ⟵ تهميش جزئي (لبعض الذّكريات).

ولمّا وردت كلمة نسيان دون أداة التّعريف (أل) فهذا يعني أنّ فعل النّسيان سيأتي ولكنّه مُترقب عن قريب أي لم يقع بعد. وردت في قوله تعالى: " رَبَنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخطَأْنَا "[8]. وهنا بمعنى النّسيان عفوي حصل دون رغبة. أمَّا في قوله تعالى: " قال أَرَيْتَ إِذَا آوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ اَلْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيه إلاَّ الشَّيْطَان أَنْ أَذْكُرَهُ "[9]. وهنا النّسيان كان بفعل فاعل وهذا يقابل عدم التَّذكر تماما.

والنّسيان يقع للإنسان لأنَّه خلق منه، غير أنَّ النِّسيان لا يحصل إلاَّ للأشياء الجميلة، بينما التّي تترك فينا أثرا يُحزن ذَوَاتنا فإنّ فعل النّسيان عليها يكون صعبا لأنَّه بمثابة البلسم الشَّافي للجرح. لذلك جاء العنوان " نسيان " أي ترقبوا نسيانكم أيُّها الرِّجال. ولأنّ صفة النّسيان تلازم الرَّجل دون المرأة وهذا ما ورد في قولها بعنوان فرعي تحت العنوان (أحبيه كما لم تحب امرأة وانسيه كما ينسى الرِّجال).

1- ⟵ نسيان الألم ⟵ (الحب الفاشل) تجاوز إرادي.

2- ⟵ نسيان الرّجل ⟵ (مواجهة) استحضار الذّكريات.

وإذا جئنا إلى النقطة بعد لفظة النّسيان فتعني النّهاية.

وقد تعني النّقطة بداية الجملة / أو جمل أخرى أي نهاية البداية الأولى وبداية أخرى وهنا (نسيان.) أي نهاية مفروغ منها لا محال. وبعبارة أخرى نهاية الألم وبداية أخرى خالية من الماضي.

وإذا اعتبرنا النُّقطة في الموقع باعتبار العنوان من رواية إلكترونية وجاء شطره الثَّاني (.com)، فإنَّ النُّقطة في الموقع ضرورية حتما كما هي حدّ في الجملة ، كذلك في الموقع لا نلج موقعا إلاَّ ولا بدَّ من وجود النُّقطة في عالم الأنترنات والبحث على الكمبيوتر.

Com. وتأتي عادة بعد النقطة فهي لازمة تليها لا محال ولا يوجد موقع في حقل الأنترنات لا يضاف له (com.) على هذا الشّكل وهذا يعني أنَّ النّقطة في الموقع وفي الجملة كحد فاصل لا يمكن الاستغناء وفي كليهما لها دلالة مفارقة عن الأخرى.

- النّقطة في الجملة تعني النّهاية .
- النقطة في الموقع تعني الدّخول.

وقد جاء العنوان بشطرين نسيان بالعربية والشطر الثّاني باللّغة الأجنبية الخاصة بعالم المعلوماتية (المواقع) (com.) وهذا دليل على أنّ الروائية أرادت من القارئ (المتلقي) للرواية أن تلفت انتباهه أنّ الرواية إلكترونية بالدرجة الأولى وأنّها في موقع الكاتبة الإلكتروني لذلك حمل هذا الشَّق رمزية الدّخول إلى الموقع لكي لا يسيطر القلق على القارئ الحداثي، ويستهويه الرّمز المطابق لدلالة النّسق الذّي يحمل في كنهه أكثر من تفسير فيغوص في إغرائه وإثارته ، واختصاره محاولا فك كل الدلالات النّسقية التّي تكشف عن البنى السّردية للمتن.

(com) وهي رمز (أيقونة) خاصة بعالم المواقع لأنّها رواية إلكترونية أساسا وقد تقوم بقراءة على أساس سيميائي آخر والمقصود بهذا أنّ (com) ثلاثة حروف هي: (C,O,M) وقد تعني ثلاث حروف هي: (ن، ك، ل) فيكون العنوان كالآتي: نسيان + كم (التّي هي com) فيصبح العنوان المركزي نسيانكم ⟸ ونقصد بها الرّجال.

وقد صرّحت " أحلام " من العربية. نت، وهي تقول عن سر تسمية الكتاب (بنسيان. .com) وبطبعة ممنوع على الرّجال هو لعب بالكلمات ويعني نسيان النّساء للرّجال وحذفت النّقطة ليصبح المعنى نسيانكم [10]. أمّا فيما يخص عبارة: (يُحضر بيع هذا الكتاب للرّجال)، فكلمة يُحضر تعني السلطة التّامة (السياسية، العسكرية) من طرف الكاتبة اتجاه الآخر (الرّجل) لأنّ الكتاب يحمل سرًّا لجنس صاحبته موجبها لحواء دون آدم فيصبح النّسيان عقوبة تقع على سلطة الرّجل. فيحضر بيع هذا الكتاب للرّجال للفت انتباه الرّجل أو للشّهرة لغاية تجارية.

فكل ممنوع مرغوب فيه، وقد تزيد هذه العبارة للرّواية شهرة ويقتنيه الرّجال بكثرة لمعرفة ما فيه من نصائح نسائية وكشف مخبوء أنثوي كتب على نفسه أن يكون محرما عليه فيعمد هذا الآخر لكسر هذا الطابوه ويتجسس على المخبوء ليصبح واضحا لديه ، أمَّا عبارة : (أحبيه كما لم تحب امرأة وانسيه كما ينسى الرّجال)، فهي تأخذ أبعادا قلقة وأيقونات متشظية بزمنيتها السّردية.

فعل الأمر أحبيه ≠ أنسيه (ضدية الفعل)

كما لم تحب ≠ كما لا ينسى (ضدية)

امرأة ≠ الرّجال (مفرد، جمع)

الحب هنا يأخذ من المرأة أبعادا عدّة (الحساسية، الشفافية، الصّدق، الوفاء)

في مقابل النّسيان الكلي من الرّجال ⟵ محو كلي من الذّاكرة لكل امرأة مرَّت في حياته.

" فأحلام" على يقين بأنّ المرأة حساسة لا تعادل في البنية العقلية الرّجل، فهي تريد أن تكون المرأة بعقل الرّجل تنسى كما ينسى الرّجال. وتحب كما لم تحب امرأة، وهي مفارقة تحمل أبعادًا قلقة ومتضادة.

جاءت فصول الرّواية خمس وردت كلها تحت قاموس النّسيان.

1) هاتف النّسيان: " أيّتها الحمقاء. الحياة تنتظرك وأنت تنتظرينه "[11].

2) وصفات لنسيان الرّجل: " لا تُصدقي الأساطير فمؤلفوها رجال "[12].

3) كما ينسى الرّجال: " ليس الحب وإنّما النّسيان هو رجل حياتك "[13].

4) نساء في مهب النّسيان: " تجمّلي بذاكرة البدايات "[14].

5) تانغو النّسيان: " الحذاء الموجع لحب جديد "[15].

ثنائيات ضدية:

1) هاتف النّسيان:

هل للهاتف علاقة بالنّسيان ؟، ألاَ يعد الهاتف وسيلة للّتذكر ؟

الهاتف وسيلة تذكر– اتصال، تجدد علاقة، صلة، والنّسيان ⟵ كره، نهاية، محو، ضدّية، تحرر، فراق، مفارقة ضدية بين الهاتف/النّسيان.

اختارت "أحلام" خمس فصول للنّسيان لأنّ الرّقم (05) يمكن أن يعادل الحواس الخمس، وبالتّالي فإنّ النّسيان لا يقع خارج دائرة كل الحواس التّي تصبح معتمة بفعل النّسيان الإرادي الموجه لقتل كل من شكّل لديها ألمًا، بمعنى أنّه سيصبح كتلة عمياء منسية خارجا عن دائرة الإحساس لذلك أوردت كلمة وانسيه كما ينسى الرّجال ← النّسيان الكلي ← الحواس الخمس معتمة ← قتل للآخر.

2) **الذّاكرة / النّسيان:**

تعتبر الذّاكرة من الأجزاء المهمّة في عملية التّعلم كما أنّها الجزء الّذي تختزن فيه الخبرات والمعلومات التّي اكتسبها الإنسان من خلال حياته اليومية... إنّها القدرة على الاحتفاظ والاسترجاع للخبرات السّابقة[16].

تأخذ أحلام عبرا إثر "نسيان.com" أو نسيانكم لتشير إلى فكرة التقاء الأضداد بين الذاكرة والنّسيان حيث تستعمل الذّاكرة كوسيلة على استبدال آهات التّنهد والألم فهي بين جوانح روايتها تمدنا بقوانين النّسيان وذلك عبر التّذكر الّذي لا يولد فيها إلاّ ألمًا وحسرة فترتد إلى هذا الماضي السَّحيق لترمي به خارج أسوارها (النّفسية والذّهنية) عبر عملية النّسيان " افتحي ذراعيك يا ذاكرتي فقد حان استقبال النّسيان"[17].

فهي تستبدل الذّاكرة بالنّسيان. أمَّا فيما يخص كمائن الذّاكرة فهي كثيرة، فلو أنّ الرّجل يذهب ولاَ يترك وراءه ما يذكرك به، أي يتركك لعزاء الأشياء لاَ شيء يذكرك ويعذبك تلبسينه أو تشمينه وتحكيه لاَ شيء سيتأمر معه عليك ويوقظ الحنين هنا" مع الوقت ستجدين عزاءك في غناكِ عنه والاستغناء بداية النّسيان"[18].

أمَّا إذا ما يذكرك به فهُنا كُوني حذرة كما تقول الرِّوائية: "كل الحواس تعمل عميلة لدى الحبيب"[19].

وأهم الحواس تؤكد "أحلام" (النّظر، والشّم) ("إنّ الشَّم حاسة الذّاكرة")[20].فرائحة العطر مكيدة ترمي إلى إيقاض عبق الذّكريات فهي أكثر الحواس إجرامًا عن الفراق " كانت جوزفين حين تغادر القصر واثقة أنّ نابليون سيتقبل امرأة غيرها ترش جدران غرفتها بعطرها حتّى يظل أسير ذكراها"[21].

كي لا يحدث النّسيان اللاّشعوري منه فيجد نفسه محاصرًا بها أي لا ينساها (لا تحتفظي بعطر رجلٍ ما عاد في حياتك، ولاَ ترتكبي حماقةً مواصلة شراءِ عطره، لتوهمي نفسك بوجوده، إنَّك تشترين ألمك"[22].

إنّ حاسة النّظر والشّم يساعدان على خرق الذّاكرة، وأخبثها حاسة الشّم كما يقول: "مارسيل بروست":" إنّ الشّم هو حاسة الذّاكرة"[23].

قد ذكرت "أحلام مستغانمي" تعليق نزار قباني على قول " محمود درويش" حينما قال: "ورائحة البُن الجغرافيا" يرى كأنّ "محمود درويش" يستعيد أرضًا بالأنف[24]. هكذا هي حاسة الشّم وسيلة لاستعادة الذكريات الماضية، فالذّاكرة تملك أسلحة لا قدرة لنا عليها تهزمنا والحواس تخدعنا وتتآمر ضدنا وهؤلاء لا يصبحوا انتصارهم هزيمة إلاَّ بعد وقوع النّسيان."إنّم يقيمون في نخاعك الشّوكي في دورتك الدّموية، في الشبكة البصرية لعينيك، في خياشيم أنفك وفي مسام جلدك"[25].

وهنا تؤكد الرّواية بأنَّ هاته الحواس أطلقت الحرب عليها (هو شيطان أرقّك وإله نعاسك هو السّم الّذي تتناولينه على مدار النّهار خارج الوجبات وهو الوجبة التّي تقتاتين بها لتبقي على قيد الحياة)[26]. واكبر خيبة لها عند محاولتها النّسيان أن تجد حواسها تتذكر كل تفاصيل الحنين الماضية.

تفرّدت"أحلام مستغانمي" بهذه الرّواية الإلكترونية/ الرّائدة في مجال الرّواية الجزائرية بعنوان: يحمل دلالات نسقية مبينة على ثنائية التّضاد والرّمزية. إنّ الكتابة لديها تتحول إلى أداة إغراء تتأنق بلغتها السّاحرة لتجعل القارئ يبدي نوعا من الاشتياق للكلمات والإبحار في كشف المخبوء وراء هذا النّص

وما زاد من اشتهاء النّص(التّعهد) الّذي وقّعته الروائية باسم كل امرأة عانت خيبة الحب، والحياة وبه ثلاثة مبادئ تحاول بهم إثبات سلطتها الكتابية على المتلقي/ القارئ وتفرض نوعا من الدهشة والإمتاع بعد الانتهاء من قراءة الرّواية.

لقد أبدعت أحلام مستغانمي في الاشتغال السيميولوجي للعنوان لتثبت من جديد أنها تعشق الابداع و المتلقي النهم للنصوص الحداثية التي تحمل في طياتها نسقا ثقافيا و دلاليا بحيث لايمكننا أن نرود عن مثل هذه الابداعات في مجال النصوص السردية .

ان الثقافة شمعة لا تنطفئ والكتابة تضل تلد وتجهض من جديد تنصب شراكها المفخخة للقارئ فتجعله ينسف بيقينياته و بديهياته ذالك أن اللغة تجعله يتواطؤ مع نفسه على نفسه انها لعبة الحرف /اللغة وهي لا تني تزكي نيرانه بأحطاب اللغة وأحطاب العشق انها تؤسس رفات ورماد وغبار الأشياء و الكائنات أيضا.

الكتابة هي حال شعرية فكلما شفت الذات تجردت اللغة فحدث فعل الكتابة الذي يصير أحد أسراره هذه الوفرة التأويلية التي تتيحها اللغة للقارئ على مستوى علامة المعجم ووظيفة الدلالة وتشكل الزمن وتهندس الفضاء النصي .

لذلك اشتغلت أحلام على الثنائيات الضدية في العنوان لتترك للقارئ حبل اللعب اللغوي من جديد فيعصف بدلالاته ليولد أنساقا أخرى ويكشف ما يزخر به من جماليات .

واجهة الغلاف:[1]

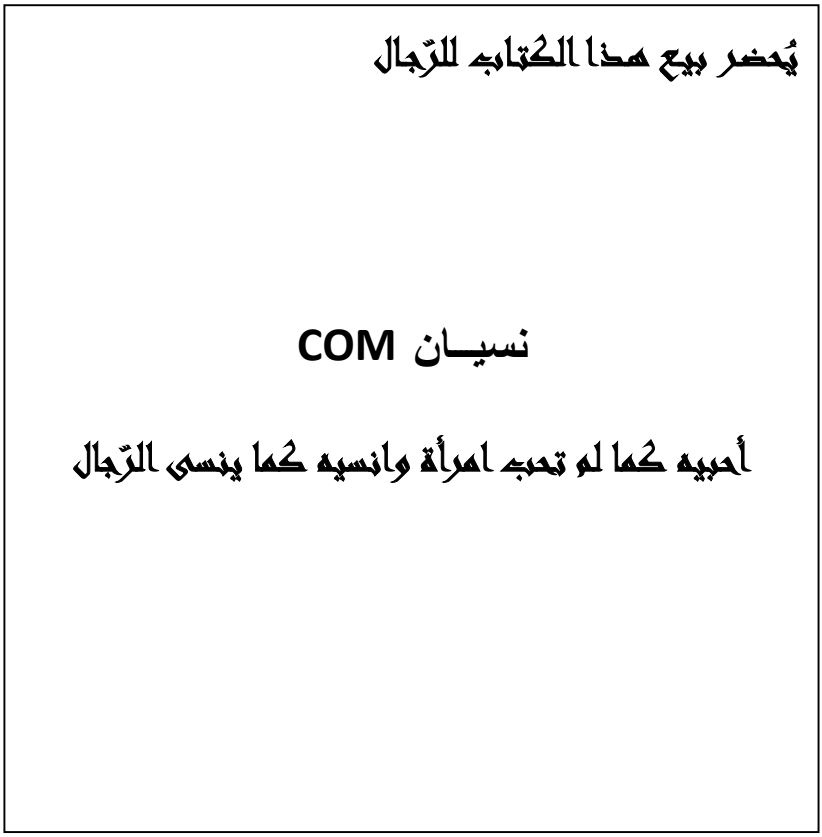

(1) أحلام مستغانمي: نسيان.com، منتديات نجم.11.11. http:// WWW. Stardz.com

تعهد

أنا الموقعة أدناه أقرّ أنّني اطّلعت على هذه الوصايا، وأتعهد أمام نفسي، وأمام الحب وأمام القارئات، وأمام خلق الله أجمعين المغرمين منهم والمتألمين من الآن وإلى يوم الدّين، بالتزامي التّالي:

- أن أدخل الحب وأنا على ثقة تامة أنّه لا وجود لحب أبدي.
- ألاّ أبكي بسبب رجل، فلا رجل يستحق دموعي، فالذي يستحقها حقًّا ما كان ليرضى بأن يبكيني.
- أن أحبه كما لم تحب امرأة، وأن أكون جاهزة لنسيانه... كما ينسى الرّجال.

التّوقيع بيروت التّاسعة صباحا

18مارس 2009

الهوامش:

([1]) بهاء عطا نفيسة: تناسج الواقع والمجاز في البنية الترددية "لو لم يكن اسمها فاطمة لخيري الذّهبي، مجلة عمّان،ع 127، ص31.

([2]) المرجع نفسه، ص28.

([3]) المرجع نفسه، ص21

([4]) الجيلالي كورات: الشّعرية والتّواصل البصري، مجلة عمّان، ص19.

([5]) بوشوشة بن جمعة: الرواية النّسائية التّونسية، ص50.

([6]) المرجع نفسه، ص51.

([7]) جميل حميداوي: سيموطيقا العنونة، مجلة عالم الفكر، م، ع3، الكويت 97، ص 108.

([8]) سورة البقرة، الآية 286.

([9]) سورة الكهف، الآية 63.

([10]) http// www. Alarab ya .net / articlés 2009

([11]) أحلام مستغانمي: نسيان. Com منتديات نجم، .http: www. stardz. com

([12]) المصدر نفسه، ص03.

([13])المصدر نفسه، ص06.

([14])المصدر نفسه، ص01.

([15])المصدر نفسه، ص02.

([16]) جمال مثقال مصطفى: صعوبات التّعلم، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط1، 2000، ص70.

([17]) المصدر السّابق، ص136.

([18]) المصدر نفسه، ص139.

([19]) المصدر نفسه، ص164.

([20]) المصدر نفسه، ص146.

([21]) المصدر نفسه، ص147.

([22]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([23]) المصدر نفسه، ص146.

([24]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([25]) المصدر نفسه، ص148.

([26])المصدر نفسه،الصفحة نفسها